في إجرائية مفهوم الفضاء العمومي
إشكاليات التنظير الفلسفي الاتصالي

In a procedural of the concept of public space,
the problematics of philosophical and communicative theorizing.

د. بن غربية فلة*
كلية: العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية/جامعة: وهران1، الجزائر.

تاريخ الارسال: 2018/01/30 تاريخ القبول:2018/02/24 تاريخ النشر: 2019/01/16

ملخص: تتناول هذه الأوراق البحثية، بالتحليل التنظيري والإمبريقي الإجرائي والوصفي، مفاهيمية مفهوم الفضاء العمومي، الذي يعتبر من أصعب وأعقد المفاهيم الفلسفية الاتصالية السياسية السوسيولوجية، التي أولى لها المفكرون العناية البحثية الأكاديمية العلمية منذ بروز ظاهرة المجتمع الحديث. المجتمع الديمقراطي في الغرب من جهة، وتطور مناهج وأدوات وأساليب البحث العلمي، المؤسس على مرجعيات نظرية ودراسات ميدانية تاريخية وسوسيلوجية، للكشف عن نوعية وكيفية سير حركية ونشاط وانتقالية وتغيير وتطور المجتمعات الحديثة من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: الفضاء العمومي، النظم الاتصالية، التحليل الإمبريقي، ظاهرة المجتمع الحديث، دراسات ميدانية اجتماعية.

Abstract : These research deal with the theoretical and empirical analysis of the concept of public space, which is considered as one of the most difficult and complex philosophical concepts of sociological communication, to which scholars have devoted scientific sresearch attention since the emergence of the phenomenon of modern society. The development of methods and tools of scientific research, based on theoretical references and historical and sociological field studies, to reveal the quality and how to conduct the movement, activity, transition, the change and development of modern societies on the other hand.

Keywords: Public space, communication systems, empirical analysis, phenomenon of modern society, sociological field studies.

مقدمة: توطئة تنظيرية إجرائية

لقد اتُخذ "الفضاء العمومي" كمرجعية استعمالية مفاهيمية، وكقاعدة دراسية، وكوسيلة استكشافية ومعطى استدلالي، وكرمز لغوي، لهندسة النظم الاجتماعية/ السياسية/ الاتصالية الثقافية بمختلف تركيباتها ومكوناتها المادية والمعنوية، الفكرية والقيمية، وهذا من أجل الاستمرار الاتصالي والتواجد الاجتماعي في المكان والزمان حتى اعتبره هابرماس" مشروع مجتمع ".

* بن غربية فلة fellabengherbia@gmail.com

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

لقد نشأ، نما وترعرع وفق ومن خلال منظومة تصورات دالة على معاني ورموز محددة، مأخوذة من رحم الميادين الفكرية المرتبطة بالمجال النظري والسياق اللغوي المفاهيمي الإمبريقي الاتصالي. وكذا المؤسساتي التنظيمي، بحيث ارتبط ارتباطا وثيقا بالتأسيسات النظرية الحديثة المتعلقة بـ:

- أولا: النظرية السياسية: (بالديمقراطية – بمؤسسات الدولة – بالحكم والسلطة – بالشرعية السياسية – بالمشاركة السياسية – بحرية التعبير والرأي – بالسيادة الشعبية – بعلاقة السلطة والرأي العام...)

- ثانيا: النظرية القانونية: (بنظام الحكم في الدولة – بالتشريعات القانونية والدستورية – بعلاقة النظام السياسي بالنظام الاجتماعي – بكيفيات استعمال وتطبيق القانون في النظم الاقتصادية...)

- ثالثا: النظرية الاتصالية: (بالعلاقة التأثيرية الجدلية بين وسائل الاتصال الجماهيرية والجمهور. بالإبداع والإنتاج الثقافي الاتصالي -بتكوين الرأي العام -بعلاقة النظام الإعلامي -بالنظام السياسي - بأخلاقيات العمل الإعلامي...)

- رابعا: النظرية الاجتماعية الفلسفية: (بفلسفة النظم الحاكمية -النظم السياسية والاقتصادية والنظم الاجتماعية -بالوعي والإدراك الاجتماعي الفردي والجماعي في بناء العلاقات الاجتماعية - بالكيفيات الاجتماعية القيمية التي يسير وفقها المجتمع ككل...)

- خامسا: التحليل العلمي المنهجي والبحثي لجميع الآليات أو الظواهر التي تقوم التوجهات التنظيرية المذكورة أعلاه بتناولها، باعتبار الفضاء العمومي أداة منهجية ووحدة إجرائية تحليلية، يتخذها الباحث كقاعدة للدراسة.

لهذا، جذب هذا المفهوم اهتمام الباحثين، في جميع ميادين العلوم الاجتماعية الإنسانية، للدور الفعال الذي يقوم به في كل مرة وفي كل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات ونظمها المختلفة، بالأشكال والتفاعلات والعلاقات والهيئات الجديدة والمتجددة.

ومنه، تريد هذه المحاولة الفكرية تحليل إشكالية أهمية ووظيفة الفضاء العمومي من زاوية كونه مفهوم إجرائي، يتمظهر في المنظومات العلمية الفكرية المذكورة أعلاه.

ففي ماذا تتجلى إجرائية مفاهيمية مفهوم الفضاء العمومي؟ وما هي مجالات تدخله أو تمظهراته؟

تتفرع هذه الإشكالية إلى الاسئلة الجزئية التالية: ما معنى الفضاء العمومي؟ ما هي خصائصه؟ كيف نشأ وتطور؟

1-في مفاهيمية مفهوم الفضاء العمومي بين النشأة والتجدد والتجديد.

أ-تعريف المفهوم:إن مفهوم "الفضاء العمومي" يعتبر مطلبا إمبريقيا ورمزيا في آن واحد. لأنه قد يكون ماديا مثل مؤسسة، وقد يكون معنويا مثل قيمة. فهو ليس حيزا ماديا مكانيا أو جغرافيا فقط، بل

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

يتضمن محتويات وقيم ومعايير اجتماعية سياسية وثقافية وتجارية وإعلامية ودينية وأخلاقية. تُثار فيها النقاشات والتفاعلات، وتُوظف تبادل الآراء والأفكار والاتجاهات والأهداف. كما تُطرح وتُحل المشاكل والمسائل والقضايا العامة ذات الاهتمام المشترك. فهو بهذا ارتبط ارتباطا وثيقا بالديناميكية الاجتماعية العامة للمجتمع ككل.

يعرف هابرماس Habermas الفضاء العمومي على أنه: "الحيز المعنوي الذي يتم فيه عقد النقاشات العامة من أجل اتخاذ القرارات التي تسير الشأن العام".[1]

ويعرفه لوي كيري Louis Quére بأنه: "فضاء رمزي أين يسمح للأفراد بالتموقع والتموضع داخل المجتمع واتجاهه. فالمفهوم يحمل في طياته فكرتين أساسيتين، الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، ينظر إليه كفضاء للاتصال. والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون آراءهم خلال النقاش العلني بحيث يلجئون إلى استعمال دلالات عقلانية في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة".[2].

وهو كذلك دائما حسب لوي كيري: "تلك العلاقات المبنية بين الأفراد المعروفين بذواتهم وأفعالهم في المجتمع، بحيث يبنون هذه العلاقات من أجل التبادل والتفاهم والتعاون الاجتماعي".[3]

ويرى دومنيك فولتن Dominique Wolton إنه: "مجموع المسارح الموجهة سياسيا والتي تطرح فيها المشاركة الجماعية وأين تلتقي أشكال الفضاء السياسي والفضاء الاجتماعي".[4]

ويقول عنه ريشارد سينات Richard Sennett إنه: "ذلك المكان الذي يحتوي على الإشارات والرموز التي تكون تحت تصرف الأفراد والذين يقومون بترجمتها وتأويلها من أجل بناء علاقات تبادلية بينهم".[5]

ويعزز ذلك فيليب بروتون Philippe Breton بقوله: "إنه ذلك الفضاء غير المادي الرمزي، أين يتجادل فيه الأفراد المسائل السياسية التي تهم أفراد المدينة".[6]

[1] Cottereau Alain et Ladrière Paul, Pouvoir et légitimité : éd. école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992, P35.

[2] Bautier Roger, Habermas et le champs de la communication: Revue Cinemaction, éd. SFSIC corlet, Paris,N°36, 1992, P89.

[3] Quére Louis, Agir dans l'espace public, les formes de l'action, éd. de l'EH, ESS, Paris, 1990, P102.

[4] Wolton Dominique, Communication politique construction d'un modèle : Revue Hermès, N°4 le Nouvel espace public, éd. CNRS, Paris, 1989, P27.

[5] Quére Louis, Agir dans l'espace public, les formes de l'action: Opcit, P102.

[6] Breton Philippe, L'explosion de la communication, éd. casbah, Alger, 2000, P214.

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

أما جون مارك فيرى Jean Marc Ferry فيرى أن " الفضاء العمومي يكون علني، أين تتكون الآراء عن طريق المناقشة الحرة التي تترجم فعليا في المناقشات السياسية".[1]

ومنه، نرى أن كلمة الفضاء العمومي "تدل على كل حيز أو مكان أو مجال مادي أو غير مادي يستعمله الأفراد من أجل تبادل الآراء والأفكار والسلوكات والتصرفات والعلاقات بطريقة علنية، يوظفونه ويستعملونه من أجل الاستفادة المشتركة. إذ يتميز هذا الفضاء الذي تضفي عليه صفة العمومية كما تقول آنت آرنت Hannah Arendt: "إضفاء صفة العمومية على الفضاء يوضح تبادل الآراء والأفكار".[2] بأنه مفتوح للجميع، أي للذين يستعملونه من أجل المنفعة العامة. وانه فضاء حيوي منتج نشط، متحرك ديناميكي، ذي إستراتيجية وهدف معين، ألا وهو تسيير الشأن العام في أي مجتمع.

تَشكَّل الفضاء العمومي، وظهر في جملة من الهيئات والمؤسسات التي تعمل من أجل المطالبة بالحقوق والدفاع عن الواجبات، أو من أجل محاولة إيجاد الحلول للمشاكل والمسائل العامة، أو من أجل تقديم خدمات للصالح العام. فالمدرسة والأسرة فضاءات عمومية، وكذا المسجد والكنيسة والزوايا ومؤسسات الدولة الخاصة بالتعليم والصحة، وفضاءات ووسائل الاتصال الجماهيرية والأحزاب والجمعيات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، والنقابات والمؤتمرات والمحاكم الدولية، ومجالس حقوق الإنسان والمظاهرات والاحتجاجات والمؤسسات الثقافية....إلخ.

كما برز في مجالات قيمية معنوية ذات أهمية سوسيو-سياسية كالرأي العام والمشاركة السياسية والديمقراطية والشرعية والانتخابات والإعلام... حتى إننا نجده متموضعا مؤديا دورا ما، أو وظيفة ما، في جميع ميادين الحياة العامة بصفة استمرارية أو انتقالية، متجددة بتجدد الوضعيات والزمان والمكان وكذا الفاعلين.

إنه يراقب وينظم ويهيكل عملية التفاعل والنقاش والتفاهم والتشارك والتحاور بين الأفراد الذين يستعملونه من أجل أمر ما، أو منفعة ومصلحة مشتركة لتسيير وتسهيل تسيير الشأن العام، لأنه مفهوم يأخذ قيمته وأهميته من خلال منظومة تصورات دالة على معاني ورموز مستوحاة من رحم الميادين الفكرية الفلسفية المرتبطة بالمجال النظري والسياق النصي واللغوي لأي مجتمع... من أجل التواصل، ومن أجل الحوار الفلسفي الاجتماعي، وكذا من أجل بناء نسق فكري مرجعي.

[1] Lenoble Jacques, et Berten André, L'espace public comme procédure, pouvoir et légitimité, Figures de l'espace public, textes réunis par Cottereau Alain, et Ladriere Paul, éd. Ecole des hautes sciences sociales, Paris, 1992, P65.

[2] Cottereau Alain, et Ladriere Paul, pouvoir et légitimité, Opcit, P30.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

ب – النشأة والتطور:

يرى هابر ماس أن الفضاء العمومي ترعرع في أحضان المجتمع البرجوازي خاصة في انجلترا نهاية القرن 17 وبداية القرن 18، إلا أنه عرف أشكالا وتسميات فيما سبق هذه المرحلة، أين ارتبط في العهد اليوناني بالمدينة اليونانية عندما بلغت قمة ازدهارها في التنظير والممارسة السياسية، والإدارة والقانون والفلسفة. لذلك نرى أن اليونانيين كانوا يمارسون حياتهم اليومية في الساحات العمومية التي تسمى بساحة السوق l'Agora.[1] ويتبادلون الآراء والمواقف والسلوكات. بحيث كانوا يتميزون بامتلاكهم الحرية والمال والثقافة، وسائل الإنتاج والعبيد، وكذا بحقوقهم المدنية والقانونية، كونوا وسطا عموميا يسمى بـ la sphère de la polis.[2] يعادله وسط آخر يسمى بـ la sphère de loikos إشارة الى الفقراء من عامة الناس الذين لا يملكون الحق في المشاركة في la polis هذه الكلمة التي تعني الشيء المشترك بين جميع الأفراد الأحرار.

أما في العهد الإقطاعي، فقد ظهر هذا "الوسط العمومي" بشكل مغاير يتمثل في شخص الأمير le prince le seigneur, الذي يتمتع بكل الحقوق القانونية والمدنية والذي لديه الحق في امتلاك المال والمنازل والمواشي والمزارع، مكونا دويلة أو مقاطعة تابعة له بما فيها من بناء وبشر. فهو السلطة والحاكم والمقرر والمنفذ للأوامر، بحيث قال هبرماس: "إن كلمة الأمير مرادفة لكلمة publicar أو publicis أي العمومي".[3] وإن" كلمات العظمة، السيادة، الجلالة، الكرامة، الشرف، تمثل انفراد وتميز الأمير في تشخيص ذاته بتمثيلها أمام الآخرين".[4] ويضيف: "إن هؤلاء الأمراء الذين يمثلون السلطة ليس من أجل الشعب ولكن أمام الشعب".[5]

ولكن وفي القرن 18 عرف مفهوم "الفضاء العمومي" على المستوى المفاهيمي الممارساتي قفزة جذرية في البناء المؤسساتي على:

- الصعيد السياسي بإعادة التفكير في فلسفة الحكم السياسي.
- الصعيد العلاقاتي بين الطبقات الاجتماعية الارستقراطية البورجوازية والكادحة.
- الصعيد الاقتصادي من ظهور وتطور الصناعة ووسائل الإنتاج المادي.
- الصعيد الاجتماعي الخدماتي بظهور المؤسسات الخدماتية.

[1]Habermas Jürgen, Trad. par Marc Bide, Laury. l'espace public, Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société Bourgeoise, éd. Payot, Paris, 1978, P15.

[2] Ibid, P16.

[3] Ibid, P09.

[4] Ibid, P 19.

[5] Ibid, P20.

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

- وعلى الصعيد الثقافي والإعلامي والفكري والأكاديمي.

إذ اعتبر هابرماس الطبقة البورجوازية أهم فضاء عمومي أدى إلى تحول وتطور المجتمع الغربي الأوروبي إلى مجتمع رأسمالي، مجتمع حديث، مجتمع مدني. فيحددها على أنها تتكون من "مالكي وسائل الإنتاج المادي والفكري، من موظفي الإدارة، من رجال القانون، الأطباء، رجال الدين، الضباط، الأساتذة، الحرفيون، أصحاب المصانع والأملاك".[1] فحددت هذه الطبقة حركية ونظامية وفعالية هذا المجتمع. فهي، ومن خلال وسائل الإنتاج وبخاصة وسائل الإعلام (الصحافة المكتوبة)، تقوم بـ:

- نشر الوعي السياسي المتمثل في المطالبة بالحقوق السياسية كالمشاركة في الانتخابات، المساواة بين المرأة والرجل في التمثيل البرلماني، مناقشة قرارات وأحكام السلطة السياسية بطريقة علنية حرة وعقلانية.

- تكوين رأي عام مدرك لأفعاله وسلوكاته اتجاه القضايا المطروحة.

- المطالبة بتحقيق المصلحة والمنفعة العامة بتوجيه جميع مؤسسات الفضاء العمومي العام إلى خدمة جميع الفئات الاجتماعية. وبهذا يرى هابرماس أن الفضاء العمومي البرجوازي عبارة عن:

- "مجموعة من الأفراد الذين يجتمعون من أجل مناقشة مواضيع وأمور ذات طابع عام مشترك" [2].

- "فئة تقوم بمخاطبة الدولة بأن تكون مسؤولة أمام المجتمع، بتوضيح وطرح نشاطاتها وأعمالها بطريقة علنية إلى جميع أفراد هذا المجتمع، حتى يستطيعون التعرف على هذه النشاطات. مناقشتها، تحليلها، وتقديمها ".[3]

- فئة "تنادي بحرية الرأي العلني في التحاور والاتصال مع السلطة السياسية. ومن تم حرية مناقشة ونقد القرارات السياسية الموجهة للصالح العام ..... ومنه حرية تكوين الأحزاب السياسية والجمعيات، وحرية الإعلام، حرية الاجتماعات والتجمعات، حرية المعارضة، حرية المسيرات وحرية التأهيل للانتخابات.[4]

إذ وفي خضم هذه المطالبات والنقاشات والصراعات، برز دور الصحافة المكتوبة في تكوين وتنوير وبلورة الرأي العام عن طريق نشر الأخبار، إنجازات، قرارات، مناقشات الدولة للجميع. مثل أعمال

[1] Habermas Jürgen. L'espace public, archéologie de la publicité, opcit. p33

[2] Frazer Nancy, Repenser la sphère publique, une contribution à la critique de la démocratie telle quelle existe réellement, revue hermès : L'opinion publique, perspective Anglo-Saxonnes, éd. CNRS, Paris, N° 31, 2001, P129.

[3] Ibid, P 130.

[4] Ibid, P 131.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

واجتماعات البرلمان، واقع المعارك والحروب، معلومات حول الضرائب والمواصلات والسلع، الواقع الاجتماعي للطبقة المحكومة مشاكلها واحتياجاتها... فوجد الفضاء العمومي في الصحافة المكتوبة الميدان الخصب لتأدية دوره الذي تكون من أجله ألا وهو:

- ✓ مراقبة ما تقوم به الدولة من إنجازات ومن اتخاذ القرارات.
- ✓ محاولة نقل مشاكل أفراد المجتمع للطبقة الحاكمة وإيجاد حلول ترضي الطرفين.
- ✓ مناقشة ما تتخذه الدولة من إجراءات في جميع الميادين بطريقة موضوعية علانية عقلانية.
- ✓ إيجاد ميدان للتواصل والاتصال والتفاهم بين فئات المجتمع من أجل البناء المؤسساتي ومن اجل الوصول إلى تحقيق أهداف مشتركة تخدم الصالح العام.
- ✓ ترسيخ قواعد وقيم أخلاقية تنظيمية وقانونية في الممارسة السياسية الاتصالية بين الحاكم والمحكوم.
- ✓ سيادة العدل والقانون من جهة، وسيادة الأفراد والجماعات من جهة أخرى عن طريق تحقيق مجموعة من الحقوق الأساسية بالتعبير الحر والنقاش حول أمور الحياة العامة.

ملاحظة: بالرغم من كل ما ذكره هابرماس حول دور الفضاء العمومي البورجوازي في القرن 18 إلا أنه يرى "إن تحقيق الحرية في العلانية والعقلانية والنقاش لم يكن ممكنا بصفة مطلقة ."[1]، بل وجدت بعض العوائق التي حددت وقيدت عمل الفضاء العمومي مثل الوصول إلى المعلومة التي تمتلكها الدولة أو كيفية تطبيق الخوصصة في الميدان الاقتصادي أو ظهور فضاءات خاصة تلعب دور المقرر في نوع العلاقة بين الدولة والمجتمع. لكن، كلا من الفضاء العمومي البورجوازي والصحافة المكتوبة اعتبرا القاطرة المؤسساتية التي أدت إلى إحداث تغييرات تاريخية بنيوية في المجتمع اللبرالي الغربي.

ج-تطور أشكال تمظهرات الفضاء العمومي:

لقد تطور الفضاء العمومي، اجتماعيا وسياسيا واتصاليا، حسب برنار مياج Bernard Miege[2] وفق نماذج اتصالية أعطت له أهمية بمكان، بحيث استطاعت هذه النماذج أن تحدد لنا تموضع ودور وخصائص هذا المفهوم، في كل مرحلة من مراحل تطورها. وبذلك تطور المجتمع، إذ تشكل وتغير وتجدد حسب تشكل هذه النماذج وتغيرها وتجددها، وكذا تأثيرها وفاعليتها وتمثلت في:

1) الصحافة المكتوبة وبالتحديد صحافة الرأي في القرن 18.
2) الصحافة التجارية والمجتمع الجماهيري ابتداء من القرن 19.

[1] Habermas Jürgen, l'espace public, opcit, p88

[2] Miège Bernard, La société conquise par la communication : Tome 2, la communication entre l'industrie et l'espace public, éd. presse universitaire de Grenoble, Grenoble, 1997, P111.

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

3) وسائل الإعلام السمعية البصرية الجماهيرية خاصة التلفزيون الذي لعب دورا تأثيريا كبيرا في منتصف القرن 20.
4) الاتصال العمومي الذي عرف ازدهارا ميدانيا واسعا انطلاقا من سنوات سبعينيات القرن الماضي.
5) ظهور تكنولوجيات الإعلام الجديدة، الملتيميديا، التي أضفت على الفضاء العمومي مفاهمية جديدة بتدخلات وتبلورات لم تكن موجودة في القرن 18 و19.

هذه المراحل التأسيسية كانت ومازالت محور الدراسات الإمبريقية التي تحاول أن تُكوّن نموذجا مرحلة بمرحلة، وهذا على أساس ما تفرزه من أفعال ومعاني، أي الفعل الاتصالي والمعنى الاتصالي. فالفضاء العمومي لم وليس حبيس نموذج ما في فترة ما. بل وجد في هذه النماذج الاتصالية الميكانيزمات التي تساعده على التنقل من نموذج إلى آخر عبر أزمنة وأمكنة مختلفة، في خضم التفاعلات الاتصالية، التي تحدث داخل النموذج ببنائه الاتصالي وبالفاعلين فيه. وكذا بمدى تأثيراته على تشكيل الرأي العام.

إنه "ذلك المكان أو الحيز الذي يتبنى الأفعال الاتصالية، التي لها صلة بظهور النماذج الاتصالية".[1] لذلك "نعتبر، حسب مياج دائما، هذه النماذج الاتصالية، نماذج مساعدة على التحليل وليس على أساس كونها إطارات ثابتة، تبحث عن ميادين تطبيقها." [2] . فهو، أي الفضاء العمومي، يعيد تنشيط نفسه بواسطة ما تتيحه هذه النماذج أو الميادين الأخرى خاصة منها التنظيمات، ومن أفعال ومعاني... كل هذا من أجل معرفة أسس المجتمع: الكيفيات والأسس والآليات التي يسير بها ووفقها المجتمع اجتماعيا، سياسيا واتصاليا. وهذا ما أراد هابرماس توضيحه في دراسته لتطور المجتمع الغربي الحديث باتخاذ ميكانيزم الفضاء العمومي لتوضيح هذا التطور وعلى أي أساس قد تم؟ !، لذلك اعتبره مشروع مجتمع.

فالمجتمع يتطور ويتغير على مستوى:

- البنى والأنساق الاجتماعية.
- النظم السياسية والاقتصادية العامة والفرعية.
- التفاعلات بين الأفراد خاصة بين الحاكم والمحكومين.
- الأهداف والاستراتيجيات المؤسساتية، وبذلك أهداف واستراتيجيات المنظومة الاتصالية الإعلامية (الوسيلة الإعلامية الجماهيرية).

[1] Miège Bernard, La société conquise par la communication, opcit, p111.

[2] Miège Bernard, L'espace public perpétué, élargi et fragmenté : Textes réunis par Isabelle, Paillart. L'espace public et l'emprise de la communication, éd. Ellug, Grenoble, 1995, P 169.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

- محتويات وإبداعات ومنتجات وسائل الاتصال الجماهيرية حسب تطورها التكنولوجي وحسب تموقعها في المنظومة الاتصالية.

- كيفيات استهلاك أنماط الثقافة الجماهيرية المروجة من قبل وسائل الاتصال الجماهيرية.

فمن كل ما تم توضيحه، استطاع هذا المفهوم أن يفرض نفسه على يتخذ كوحدة إجرائية لدراسة الظواهر المختلفة التي ينتجها المجتمع.

1-إجرائية مفهوم الفضاء العمومي:

لقد أضحى مفهوم الفضاء العمومي ذا مدلول أساسي، وفكرة وأداة قاعدية معيارية إجرائية في الأدبيات الاتصالية والسياسية، المتعلقة بميادين الحياة الاجتماعية للفرد، وذلك لوجوده وتواجده من أجل حل المشاكل، وتسيير الشأن العام على جميع المستويات المؤسساتية الخدماتية أو الإنتاجية أو القيمية. إذ وجد، وهذا حسب جل المفكرين، لتأدية مهمة ووظيفة أخلاقية (إذا لم يتم السيطرة عليه من قبل أفراد خواص أو أجهزة خاصة)، تنظيمية ضابطة وقانونية عقلانية وهذا لتحقيق سهولة الاتصال وسيرورته. فمن أجل القيام بهذا الدور، استنطق هذا المفهوم المفكرين والباحثين والفلاسفة لدراسته ومحاولة وضع إطار مفاهيمي له، يتماشى ومتطلبات كل عصر وكل مجتمع. فهؤلاء المفكرون اهتموا وناقشوا وحللوا مجتمعاتهم الغربية وفق أو من خلال اتخاذ الفضاء العمومي كأداة أو وسيلة إجرائية، لدراسة حركاتها، أزماتها السياسية والاقتصادية، العلاقات البنيوية بين النظم الفرعية المكونة للهيكل التنظيمي المجتمعي، العلاقات بين الحاكم والمحكوم ... وغيرها من البنى التحتية والفوقية التي يسير بواسطتها ومن أجلها المجتمع الغربي، لاستخلاص الحلول المناسبة للسير التنظيمي لها. ومنه، وضع ما يسمى بالنظرية الاجتماعية العامة للمجتمع.

كما اتخذه الباحثون كحقل معرفي للدراسة مثل حقل سوسيولوجيات الإعلام والاتصال، أو التشريعات القانونية الخاصة بالاتصال، أو كموضوع للبحث مثل موضوع المواطنة أو الشرعية السياسية، أو الديمقراطية أو كسبب، مثل دراسة ظاهرة العنف السياسي وما ينجر عنها من أزمات سياسية كـ" الثورات" أو "الانتفاضات "أو كحامل لقضية ومسير ومروج لها، مثل ما تنشره وسائل الإعلام الجماهيرية أو الوسائط الاجتماعية... وهذا باعتباره كما يقول بيتر دالغران Peter Dahlgren "محرك اجتماعي".[1] ، كما يُتخذ كصفة أو نعت لوصف ظاهرة ما. مثل ظاهرة العنف في الملاعب، أو ظاهرة الإسلاموفوبيا في المجتمع الأوروبي.

[1] Dahlgren Peter, Trad. Par Daniel, Dayan. et autres. L'espace public et les medias, une nouvelle ère: Revue, Hermès, Espaces publics en images, CNRS, Paris, N°13-14, 1994, P249.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

ويستعمل كذلك كفئة تحليلية منهجية (مثل فئات التحليل التي نجدها في منهج تحليل المضمون) لتحديد الظواهر الاجتماعية القابلة للدراسة والربط بين متغيراتها، والفاعلين فيها والسياقات الاجتماعية أو المؤسساتية التي لها علاقة بها، مثل تحليل ظاهرة الإرهاب العابرة للقارات، والتي ارتبطت "بالإسلام والمسلمين" في نظر الفكر الغربي الحالي، بحيث تستطيع تحديد فئات تحليل هذه الظاهرة من خلال:

- فئة معيارية وحصر الموضوع: إذ تستهدف هذه الفئة الإجابة على السؤال على ما يدور موضوع المحتوى، أين؟ وما هي صفاته ومميزاته؟
- فئة الاتجاه: وهي الفئات التي تجيب وتحدد توجهات الفاعلين في تحليل هذه الظاهرة.
- فئة القيم والأهداف: أي ما هي القيم التي تريد هذه الظاهرة تنميطها وما هي أهدافها.

بالإضافة إلى فئات أخرى تستعمل حسب طبيعة الموضوع ومقتضياته الاستعمالية والنظرية.

لذلك، ومن أجل الاستعمال المنهجي والامبريقي والنظري والابستمولوجي لإجرائية مفاهيمية مفهوم الفضاء العمومي، لا بد على الباحث أن يحدد "صفاته ومميزاته والدور الإجرائي الذي تموضع من أجله والمعنى الاستدلالي له. ومنه، تسجيله في الحقل الاجتماعي والتاريخي والامبريقي الذي استعمله ووظف وفقه وضمنه هذا المفهوم."[1]. فالمسؤولية البحثية العلمية يتحملها الباحث في كيفية تطويق إجرائية المفهوم بأن يتحلى بالموضوعية العقلانية، كما يقول هابرماس، في كيفية تحليله واستبيان أو استظهار دوره وتدخلاته في القضايا التي يطرحها المجتمع في كل مرة. وهذا "حتى لا يفقد الباحث من فاعلية وفحوى الإجرائية، فيفسد أو يضر بالمفهوم."[2].

ونعني بالإجرائية أذن: عملية تعريف مفهوم غامض، بحيث يصبح هذا المفهوم النظري قابلا للتميز أو القياس بتوضيحه وفهمه من منطلق الملاحظات التجريبية الميدانية. وأما البحث الإجرائي، فهو الذي يدرس تطبيق النظريات والمعرفة أو القوانين العلمية من أجل تطوير وتحسين الواقع بواسطة حل المشاكل المطروحة بطريقة علمية إجرائية.

أ - هابرماس وإجرائية مفهوم الفضاء العمومي:

تتمحور إجرائية الفضاء العمومي بالنسبة لهابرماس في "إعادة بناء وتوسيع وتجديد دور ووظيفة الفضاء العمومي."[3] بحيث تمر هذه الإجرائية عبر ثلاثة مراحل أساسية تجعل منه ذا فاعلية في دراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية أو النظام الاجتماعي.

[1] Chamial Philippe, Espaces publics, sciences et démocratie: Revue Quaderni, Paris, N° 18, 1992, P64.

[2] Ibid, P64.

[3] Lenoble Jacques, et Berten André, L'espace public comme procédure, Opcit, P75.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

1- العقلانية في النقاش: أي لابد أن تتميز النقاشات والحوارات التي تدار بين الفاعلين السياسيين والاجتماعيين بالعقلانية في تسيير وإدارة الشأن العام، بحيث يلجأ هؤلاء الفاعلون إلى الاتصال من أجل التفاهم باستعمال لغة ذات معنى في أفعالهم الاتصالية. ومنه اللجوء إلى العقلانية الاتصالية في النشاط الاتصالي العام للمجتمع."[1].

2- النظرية الاجتماعية الخاصة بواقع النظم كعالم معاش[2]: يرى هابرماس أن النظام العام للمجتمع الحديث متكون من عدة نظم أساسية تسيره وتضمن نشاطه وحركيته. ويؤكد على الدور الذي تلعبه النظم الفرعية المحتواة في النظام السياسي والنظام الاقتصادي من أجل إرساء سلطة الاتصال، وذلك بالعمل بينها وفق نظام العلاقة التفاهمية العقلانية لمحاولة تحقيق المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية للفئات المختلفة.

3- عقلانية القانون والسياسة وتطورهما في المجتمع الحديث.[3]

وفي هذا المستوى من الإجرائية تتحدد هذه الأخيرة من خلال تحديد وتشخ

- مفاهيمية العقلانية.
- مفاهيمية الحكمة.
- مفاهيمية الحكمة والعقلانية الاجتماعية.
- مفاهيمية نظم عالم معاش.

ومنه تطوير المشاركة السياسية التي تجسد المساواة في المطالب السياسية، فتحدد دور الفضاء العمومي في تنشيط النقاش السياسي العقلاني.

يرى هابرماس أن إجرائية مفهوم الفضاء العمومي لم تظهر بطريقة اعتباطية، بل جاء نتيجة لظروف ومعطيات أنتجها المجتمع الغربي، والتي أعطت لهذا المفهوم دلالات إجرائية مهمة في الحقل المعرفي الفلسفي لنظريات النظم السياسية، إذ تمثلت في محورين أساسيين هما:

- السياق الإمبريقي:

- يقول هابرماس: "إن الفضاء العمومي وحدة بناء للنظام الديمقراطي".[4]لذلك فهو وليد التطور الذي عرفه المجتمع الغربي على مستوى المؤسسات التنظيمية، والتي أدت في مراحل عديدة إلى ظهور أزمات سياسية ارتبطت بظاهرة الحكم السياسي والسلطة السياسية والديمقراطية التي بدورها كانت وليدة الحداثة السياسية.

[1] Ibid, p77.

[2] Ibid, P78.

[3] Ibid, P80.

[4] Lenoble Jacques, et Berten André, L'espace public comme procédure, opcit, P 89.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

- تماشي الفضاء العمومي كذلك ودور الحركات الاجتماعية والحركات البيئية والنسائية والأقليات الثقافية التي بدأت تظهر في الساحة السياسية وتؤثر في السيرورة النظامية الحاكمية.
- ظهور الميكانيزمات المؤسساتية القانونية التي كانت وليدة النظم الديمقراطية والتي كانت بدورها ووليدة النظام الليبرالي أو الدولة الاجتماعية.

■ السياق النظري:

لقد أدى التطور العلمي الأكاديمي إلى التخصص في العلوم الاجتماعية موازاة مع التخصص في الأدوار والوظائف والعمل. وموازاة كذلك مع ظهور مؤسسات اجتماعية جديدة التي أنتجت مفاهيم وممارسات جديدة توجه كل مفكر في ميدانه إلى دراسة وتحليل حركية المجتمع من زوايا محددة، يحاول من خلالها وضع نظرية لتشييد مجتمع "ديمقراطي حقيقي". وهذا ما أراد العديد من الباحثين الوصول إليه منذ عصر الأنوار إلى يومنا هذا بديباجة نظرية الدولة الاجتماعية، والتنظير وإعادة التنظير حول النظام السياسي والديمقراطي"[1]. فضمن كل هذه المعطيات، تدخل الفضاء العمومي بأشكاله وتبلوراته المختلفة لتبيان المعالم أو المعطيات التي تطبع المجتمع في جميع مراحل تطوره.

إن هابرماس قد أعطى قيمة للفضاء العمومي كمفهوم إجرائي، كونه وليد المنطق الامبريقي والمنطق النظري حتى يستعمل كمعيار ووحدة للنقاش، والتحاور بمشاركة كل الفاعلين، المسيرين للأنظمة الفرعية لتحديد المطالب المختلفة للفئات الاجتماعية على أسس عقلانية السياسة، عقلانية القانون، وعقلانية الاجتماعي، لكي يكون للفضاء العمومي سلطة اتصالية لتسيير العلاقات بين جميع هذه المتغيرات.

في خضم هذا الإنتاج الفكري الفلسفي لهابرماس حول إجرائية الفضاء العمومي، انتقده لوهان Luhman بفكرة أن النظم الاجتماعية السياسية تعاني من أزمة نقص في العقلانية. فالأمر واضح في المشروع الليبرالي الذي يستعمل القانون كأداة مصاحبة للدولة الاجتماعية. إذ يرى " إن كل وأي نظام فرعي إلا ويصاحبه قانون خاص به يسيره ويقنن العلاقات العقلانية الاتصالية مع النظم الفرعية الأخرى."[2].

فالمجتمعات الليبرالية الحديثة، أنتجت عددا كبيرا من النظم الفرعية والتي أصبحت تتمتع بالاستقلالية في العمل والتسيير والتنظيم. يضبطها قانون خاص بها "فالقانون، إذن، يطغى على

[1] Jacques, Lenoble. et André, Berten. (1992). L'espace public comme procédure, opcit p 89.

[2] Ibid, P 89.

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

عقلانية المطالب الإجرائية التي يريد الفضاء العمومي أن يسيرها. وهذا ما يفقده عقلانيته أو ينقص منها في بناء العلاقات بين النظم الفرعية" [1].

فحسب كل من لونوبل وبارتان Berten وLenoble فإن كلا المفكرين ناقشا إجرائية مفهوم الفضاء العمومي باعتباره نموذجا ضمن "براغماتية النقاشات العلمية في ميدان البحث المتواجدة ضمن أخلاقيات النقاشات وأخلاقيات الاتصال المتعارف والمتفق عليها علميا."[2]. فكل واحد منهما حصر إجرائية الفضاء العمومي في تسيير النظم الفرعية في توجيه وتفكير أحادي ناقص، لذلك لابد من إعادة النظر بطريقة جديدة ومتجددة في إجرائيته، لأن الدولة الاجتماعية والدولة السياسية متعرضة، في كل مرة، إلى أزمات مختلفة على جميع أنظمتها الفرعية، مما يؤدي إلى تغيير أدوار ووظائف الفضاء العمومي. المهم والأهم أن عملية إعادة النظر في كل مرة في إجرائية الفضاء العمومي أن يأخذ بعين الاعتبار الأخلاقيات العقلانية الاتصالية لإرساء منظومة عقلانية سياسيا وعقلانية اتصالية.

3 –إجرائية مفهوم الفضاء العمومي في المجتمع العربي الإسلامي.

لقد ظهر وتشكل وتمظهر الفضاء العمومي في المجتمع العربي الإسلامي بإجرائيات وصفات وأنساق وبنى وأدوار ووظائف تختلف عن التي اشتهر بها في المجتمع الغربي. وهذا لاختلاف المرجعيات التأسيسية للأنظمة السياسية والاجتماعية والفكرية والمعرفية والاتصالية والقيمية للمجتمعين.

فإذا كان هابرماس قد حلل وناقش إجرائية مفاهيمية الفضاء العمومي من خلال دراسته للمجتمع الغربي في القرن الـ 17 والقرن الـ 18 في كتابه المشهور:

L'espace public, archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoiseباستعمال لفظة "الفضاء العمومي" للتعبير عما شرحناه سابقا، فإن ابن خلدون، كان قبل هذا، قد وصف وحلل وناقش إجرائية مفاهيمية الفضاء العمومي باستعمال لفظة العمران البشري، لدراسة المجتمع العربي الإسلامي على مستوى جميع المنظومات الامبريقية الفكرية والمعرفية والعلاقاتية الممارساتية في أركيولوجيا لتطور هذا المجتمع في كتابه المشهور : المقدمة. بالأحداث والوقائع والعلامات والإشارات التوضيحية التي استعملها كأدوات مفتاحية لفهم حركية المجتمع العربي الإسلامي.

لعب الفضاء العمومي دورا محوريا في هندسة النظم السياسية في المجتمع العربي الإسلامي منذ البدايات الأولى لتكون الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. وعرف عبر مراحل تاريخه وأنتروبولوجية،

[1] Ibid, P 90.

[2] Lenoble Jacques, et Berten André, L'espace public comme procédure, opcit p 88.

0592 – 2253 :ISSN/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

تطور الفكر السياسي على المستوى الإمبريقي الممارساتي وعلى المستوى التنظيري النظري، استعمالات وتدخلات وكذا أوصافا وأشكالا طبعت كل مرحلة من مراحل تطور النظام السياسي الإسلامي العربي.
فبإجرائيته المفاهيمية التاريخية، اللغوية والبنيوية، استطاع أن يقدم لنا خارطة اتصالية سياسية/ اجتماعية بمفاتيحها ومعانيها ودلالاتها العلاقاتية المهيكلة للنظم على مستوى العلاقات بين الحاكم والمحكوم:

- النظم الفرعية.
- الإبداع الثقافي والفكري الفلسفي.
- نمط والعالم المعاش للفرد العربي.
- نسيج عقلانية وفاعلية الاتصال والاتصال السياسي خاصة عندما يتعلق الأمر بالمعنى المشترك بين جميع أفراد المجتمع كما تقول AnnahArendt : "المعنى العام الموروث عن التقاليد في إطار الذاكرة والذي بدونه لن يكون هناك تفاهم سياسي."[1] لأن واقع الاتصال كما يقول دوبري مرتبط بواقع السلطة السياسية.[2].

وعلى مستوى مؤسسات الفضاء العمومي بأنواعه المتجددة يتجدد ظروف ووضعيات وأنماط وطرق الحكم السياسي كون الفضاء العمومي ارتبط بشدة في جميع كيفيات تغيره وتطوره ورقيه أو ضعفه، فارتبط الفضاء العمومي بظاهرة الحاكمية – الشرعية السياسية -الشورى -السلطة السياسية - والسلطة القضائية -المشاركة السياسية -المواطنة -الدولة الاجتماعية -الدولة الإقليمية -أنواع الحكم السياسي -الدولة الإسلامية... وغيرها من المفاهيم التي أوجبت على الباحث المفكر استعمال وانتهاج مفهوم الفضاء العمومي كمفهوم إجرائي.

خاتمة:

ومنه، نستخلص أنه من الضروري استعمال وانتهاج وكذا توظيف الفضاء العمومي، المادي والمعنوي، كآلية أو وحدة أو مرجعية أو منهج إجرائي لدراسة جميع العلاقات والظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاتصالية والأخلاقية والقيمية والتاريخية، لمعرفة نمطية وحركية وفلسفة ونسقية وبنيوية النظم المهيكلة للمجتمعات، بخصائصها المميزة لها في جميع مراحل تطور أو تغير هذه النظم.

[1] Ferry Jean Marc, Habermas et l'éthique de la communication, Presse Universitaire de France, Paris, 1987, 1ère éd., P557.

[2] دوبري روجيس، تر، شاهين فؤاد. محاضرات في الإعلام العام، الميديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، 1996، ط. 1، ص94.

ISSN: 2253 – 0592/ الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)